واحدة من أهم الزيارات المعتبرة التي نصَّت عليها الروايات والتي نقلت عن المعصوم (عليه السلام) هي زيارة الأربعين، وفيها تجديد الولاء، وتقديم الطاعة والعزاء، وبيان معاني الفداء؛ لذلك دأب المؤمنون في مختلف العصور على الالتزام بها والسعي إليها على الرغم من وجود المانع، طلبًا للثواب وتأييدًا لنصرة الحسين (عليه السلام)، وقد جاءت في الروايات أنها إحدى علامات المؤمن التي يمكن أن يتّصف بها، وفي هذه الزيارة المباركة معاني وأسرار قد يجهلها من لم يتوفّق إليها؛ وعلى هذا فإنّ الزائر يجدّد العهد في كل سنة قدر التمكّن من ذلك، ولا تمنعه الصعاب، ومن فاته فقد فاته خير كثير، ولا يمكن تعويضه إلّا إذا توفّق إليها في قابل.

ومنذ كانت زيارة الأربعين وإلى اليوم نجدها محفوفة بالمخاطر، متزيّنة بالصعاب، فقد بذل جابر الأنصاري (رحمه الله تعالى) الكثير للوصول إلى الحسين، وحينما عرج موكب السبايا إلى كربلاء تجدد العهد بالبكاء والنحيب واستذكار ساعات الفراق ووداع سيّد الشهداء، وبعد أن حطّت الحوراء مركبها بصحبة العليل زين العابدين (عليه السلام) أصبحت كربلاء منارة العاشقين وسبيل المؤمنين يجدّدون عهدهم مع المولى أبي عبدالله (عليه السلام) في زيارات مختلفة ومتواصلة وخاصّة في الأربعين من كل عام؛ لذلك سارعت شياطين الإنس إلى منع الزيارة بعد توافد القوافل وكثير من أحباب الحسين (عليه السلام)؛ لتكون كربلاء محطّة للاستزادة وشمعة للثوّار وقبلة للأحرار .

وتباينت صور التحدّيات في زيارة الحسين (عليه السلام)، فقد عمد القوم إلى هدم قبره الشريف؛ ليضيع قبره على زوّاره، ومن ثم حاولوا المنع بشكل رسمي وعمدوا إلى قطع طريق الزوّار، وبعد ذلك فرضت غرامات على زوّار الحسين (عليه السلام) في زمن المتوكّل العباسيّ، ثم شدَّ عليهم الأمر بقطع أكفّ الزوّار لمنعهم، ولكن تفاجؤوا بازدياد عدد الزوار. ثم توالت الأيام لتستقرَّ في زمن المقبور الهدّام الذي عمد بمختلف الوسائل لمنع زيارة الأربعين وتحجيمها على وجه الخصوص، فلم يستطع؛ بل منَّ الله على المؤمنين بالفرج فتوسّعت دائرة العشّاق، وبذل أحباب الحسين صور الإيثار والكرم حتى انبهر بهم كل قاصد وزائر.

واليوم ما تزال مسيرة التحديات قائمة في هذه الزيارة وترهب الأعداء، فيحاولون بمختلف الوسائل إثارة الفتن وتشويه الصورة المثالية التي عليها، وهم لا يملّون ولا يكلّون، ويعمدون إلى الاعتماد على أناس قد لا يفرّقون بين الناقة والجمل؛ ليبثّوا بين الزوّار الهلع ويحاولوا خلق مزيد من المشاكل في هذه التظاهرة التي ينعدم مثيلها في كل أنحاء العالم، وعلى هذا فإن المسؤولية كبيرة على المؤمنين لحماية الزيارة والزوّار وتشخيص المسيئين وعرضهم على المحاكم الرئيسة ليدفعوا ثمن الحماقة التي هم عليها بعد أن اختلط عليهم الأمر وأصبحوا أدوات الفتنة بيد الشيطان الأكبر فأخذ يسوقهم إلى المهالك، ويُسيِّرهم لهدم الوطن وقتل الوطنيّة والعقيدة في قلوبهم؛ وهذا يستلزم العمل بالحق كي لا يتوهم أهل الباطل بأنهم على الحقّ.